الفصل الخامس
الإرساليات التي وجهت النشاط التنصيري في العالم الإسلامي

من خلال هذا الفصل نلقي الضوء على مدارس التبشير (التنصير والإرساليات التي وجهت من نشاط التنصير في العالم الإسلامي. ومعروف أن مدارس التبشير (التنصير) هي التي تخرج المنصريين وهي دور علم أنشأتها كنائس الأديرة المختلفة لتدرس مناهج ثقافية خاصة بعضها لتكوين المبشر علمياً. وذلك بدراسة الكتاب المقدس بقسميه والتاريخ القديم على الأخص. وبعضها لتهيئة المبشر (المنصر) للقيام بمهمة التنصير ولها مناهج أصلية.

أما الإرساليات وهي البعثات التي توفد من الهيئات المسيحية للتبشير بالإنجيل ويكون أعضاء البعثات من المثقفين الذين تخرجوا من مدارس التبشير (التنصير).

وهؤلاء عندما يذهبون إلى بلد من البلدان يؤسسون كنيسة أو أكثر وغالباً ما يقوم بجانب الكنيسة مستشفى ومدرسة وهي مؤسسات تهدف لإدخال الناس في المسيحية.

والجدير بالذكر أن هذه الإرساليات نشأت ونمت بعد الحروب الصليبية المعروفة. سبق لها الرهبان ورؤساء الأديرة ودرسوا الفكر الشرقي في مدارسهم وأديرتهم. وكانوا يمثلون الطبقة المثقفة والمستنيرة. وتوسعت الدراسة حتى طالبات الجامعات الأوروبية.

وقد قامت أقسام من الجامعات الأوروبية للدراسة الشرقية. وقد استفادوا من دراسة علوم الشرق الإسلامي. وقد أخذت مدارس الأديرة في القرون الوسطى من قبس الإسلام. والآن نجد إرساليات التنصير منتشرة في أنحاء العالم وأوضح ما تكون في أواسط أفريقيا وجنوب شرق آسيا وجزر الفلبين وأندونيسيا ولها وجود كذلك في البلدان الإسلامية داخل المنطقة العربية مثل دول الخليج ومصر والسودان وغيرها من بلدان العالم الإسلامي.

ونجد الإرساليات في كل بلد تنزل فيه تستفيد من وسائله المادية التي من أهمها المدارس والمستشفيات. ومن ثم تقوم بدعاية واسعة.

ولكل إرسالية منهج ولكل كنيسة عبادة. ولكن في المجامع تدعي كلها على مختلف فرقها. ذلك لأن المجامع والمؤتمرات العامة توضح فيها الخطط التي يتبعها الدعاة. وقد نشأت الإرساليات بعد فشل الحرب الصليبية عندما أدرك الأوروبيون أن الشرقيين تفوقوا عليهم بعامل الدين.

لذا لجئوا إلى غزو سلمي مأمون العاقبة هو العمل على نشر المسيحية بالدعاية والإنجازات المادية. وهذا الأمر دعاهم إلى إعداد مبشرين ذوي مقدرة على أداء هذه الرسالة. ويرجع هذا الأمر إلى المستشرق الأسباني ريموند لول. وهو أشهر وأكبر مبشر في العصر الوسيط وأول من نهج طريقة التنصير المبني على أساس علمي.

ومن جهوده وجهود من تبعه نشأت الإرساليات المنظمة التي تعتمد على دراسات خاصة ودعت ظروف أوربا الدول التي تنشئ إرساليات في الشرق.

كانت البداية في كل من أسبانيا والبرتغال لما لهما من تعصب كاثوليكي. إذ كان ينتمي لهما أكثر الإرساليات الكاثوليكية في الشرق لقد كان التبشير (التنصير) واضحاً في القرن الثامن عشر وما بعده. أي عهد الإستعمار وقد ظهر أعظم نشاطه آنذاك ولا يزال تياره مستمراً، ونذكر أن بريطانيا كان لها نشاطاً واسعاً وذلك لأن مستعمراتها كانت هي الأخرى واسعة الانتشار وكان وليم كاري أباً للتبشير (التنصير) الإنجليزي وريموند لول أباً للتنصير الأسباني.

ولابد من إلقاء بعض الضوء على هذين الشخصين لأهميتهما في تولي ودفع الإرساليات التنصيرية.

١- ريموند لول:

برزت شخصيته في مجال التبشير (التنصير) والاستشراق ذلك لأنه ذو النشاط في الحقلين. ولد سنة ١٢٢٥م ونشأ على غير دين وكان شديد الذكاء وشاعراً وقاصاً.. الخ.

وكان غير مهتماً ولكنه انقلب إلى داعية للنصرانية وكان له نشاط بارز في مجالين. في تعلمه وتعليمه وجولاته الواسعة في البلاد في العالم الغربي والعالم الشرقي.

وقد كان ريموند لول مثقفاً ومتصوفاً. ويعد التنصير وواضع مناهجه ومنشئ مدارسه ريموند لول. وقد تعلم العربية وقرأ القرآن الكريم ويقال أنه حفظه. قام بمجهودات كبيرة فكرية وعلمية لتنصير المسلمين وذلك للإقناع. وكان أبرز من خطط لهذا المنهج في ثلاثة جوانب:

١- أن يدرس المبشر اللغات الشرقية ولهذا دعا إلى تدريس اللغات الشرقية في الجامعات الأوروبية واقنع بذلك الملوك والبابوات وفي أواخر القرن الثامن عشر ملك أسبانيا سلطة تكوين كلية للدراسات الشرقية وبعدها انتشرت الكليات في أوربا التي تدرس اللغات الشرقية.

٢- خطط لتأليف كتب توضح حقيقة الدين المسيحي والأدلة التي تؤيده. لم يكتف بوسائل التبشير المسموعة بل زادها أن تكون مقروءة وذلك لأهمية الكتاب دفعه إلى هذا مقابلة العلماء المسلمين.

٣- أن يكون المسيحي جريئاً شجاعاً وأن يعلن عن عقيدته وإيمانه حتى لو كلفه حياته. وقد رحل لول إلى شمال أفريقيا ثلاث أو أربع مرات حيث مات هناك عن عمر يناهز الثمانين.

٢- وليم كاري:

مبشر إنجليزي عاش ما بين ١٧٦١م - ١٨٣٤م وقد جاء بعد لول بأكثر من خمسة قرون ولكن استفاد من تعاليمه. والإنجليز يعتزون به لأنه أول مبشر وراعي للإرساليات البروتستانية في الشرق والهند.

فقبل أن يرحل إلى الهند تزود بمؤهلات عظيمة من لغات ودراسات أخرى وبلغ به الأمر أن درس لغات الهند. ونصح بأن يترجم الكتاب المقدس إلى لغات القوم الذين يراد تنصيرهم. وكان له صبر وإصرار يدل على ذلك أنه ترجم الكتاب المقدس إلى لغات البنغال في خمسة سنوات ثم أعاد الترجمة مرة أخرى. وضع الكتب التبشيرية (التنصيرية) في إنجلترا ونشط العلم التنصيري وطلبه الهولنديون لمساعدتهم وصار إماماً للمنصرين ودعا إلى نشر الإنجيل بكل اللغات وطلب الهولنديون منه مساعدتهم واشتهر أمره حتى صار إماماً للمنصرين ودعا إلى نشر الإنجيل بكل اللغات ونالت آراءه وأعماله الرضا وأسس الكنائس في بلدان كثيرة أخرى. ويعتبر القرن الثامن عشر مديناً لهذا الرجل بأعماله التبشيرية.

إلى جانب عمل العلماء والناشطين بالتبشير كانت هناك جماعت قامت بالعمل التبشيري (التنصيري) ووجهت عمل الإرساليات. سوف يلقي الباحث ضوءاً على أهم هذه الجماعات وهي عبارة عن هيئات مسيحية تكونت في ظروف مختلفة وآلت على نفسها نشر الديانة المسيحية. وأنشأت هذه الجماعات بسبب الفساد بين الحكام ورجال الدين ورأوا أن الحياة الروحية هي الأساس الأول لإصلاح هذا الفساد.

١- الآباء البندكتيون:

أقدم جماعات التبشير ومنسوبة إلى القديس بندكت ويسمى بندكت النورسي نسبة إلى بلدة نورسيا بإيطاليا. ولد سنة ٤٧٧م وتوفي سنة ٥٤٣م وكانت حياته مليئة بالنشاط والتفكير والعمل. اعتزل الناس وعاش في جبل متعبداً وكان ناقداً للحياة السيئة في روما أسس بعض الدير وكان تحت إشرافه. قد أغاظ عمله رجال الأديرة الأخرى وهجموا عليه وكسروا ديره. واستمر بندكت يبث الدعوة إلى المسيحية ولحقت به أخته حتى تكون راهبة في صفوف النساء وأدخل هذا القسيس تجديدات بنظام الرهبنة إذ أدخل نظام لساعات اليوم. وألحق بكل دير من أديرته مدرسة وكان رهبانه أول من عني بتعليم اللغة العربية ولغات الشرق الأخرى. ولا تزال هذه الجماعة لها إرساليات ومراكز تبشيرية (تنصيرية) في الشرق.

٢- الفرنسيسيكان:

كانت بداية هذه الجماعة في أوائل القرن الثالث عشر ومؤسسها فرنسيس الأسيزي (١١٨١م - ١٢٢٦م). قامت في أولها على الفقراء ثم وضع لها قانوناً باسم القانون الأول. وقد ذهب إلى روما يطلب تأييد البابا وقد كان له ذلك. ومن ثم نشر أفكاره في إيطاليا وخارجها كان لدعوته صدى لما أصاب الحياة الأوروبية وقد كتب فرنسيس وصيته التي ظلت قانوناً لجماعته. وكان يرى بدلاً من إبادة الكفار دعوتهم إلى الإيمان والهداية وإدخالهم في النصرانية.

٣- الآباء الدومينكان:

أسس هذه الجماعة القسيس دمنيكوس (١١٧٠-١١٢١م) كانت تحمل اسم الأخوة الوعاظ. وجعلوا مهمتهم الأولى دحض البدع والخرافات عن طريق العلم لكل ما يشوه جمال المسيحية ورغبتها في نشر الإصلاح جعلتها تشترك في الحروب الصليبية ضد الإسلام. ودخلت هذه الجماعة السياسة حتى أن لويس التاسع أرسل راهباً دمنيكياً بهدايا لملك التتر وبها قطعة صليب. هذه الجماعة أنجبت عدداً من المستشرقين وقامت بدراسات إسلامية. ونشاط هذه الجماعة يقوم على المستشرقين وقامت بدراسات إسلامية. ونشاط هذه الجماعة يقوم على الدراسة الواسعة هي الوسيلة الناجحة لهداية الكفار إلى الإنجيل خصوصاً المسلمين. لقد كان لهذه الجماعة دور في إبادة المسلمين في أسبانيا. وقد أشار الراهب الدومنيكي (بيلدا) بقطع رقاب العرب المسلمين جميعاً.

٤- اليسوعيون:

هذه الجماعة التبشيرية وهي جماعة نشطة ولا يخلو جزء من العالم من إرسالياتها وتعتمد على مجموعة رجال كاثوليك لهم ثقافة متنوعة منهم أساتذة جامعات ومعاهد عليا. أسست هذه الجماعة في جامعة باريس من طلبة أتقياء هدفوا إلى نشر دعوة المسيح وتعاليمه ونمت هذه الجماعة وصار لها كيان فكري مؤسس هذه الجماعة القديس أنجو سنة (١٤٩١م - ١٥٥٩م) وقد كان جندياً في

الجيش الأسباني وكذلك أبوه. جرح هو في المعارك وقرأ في مرضه عن الحياة الروحية وأخذ يدعو إلى مملكة المسيح واتخذ السبيل إلى دعوته بالأسلحة الروحية وهداه تفكيره إلى الطريق وهو العلم والثقافة والتأمل والعفة.

وعندما كان عمره ٣٠ سنة رجع إلى جامعة باريس ومكث ١٣ سنة يدرس ويفكر ونمت جماعته في جامعة باريس والتف حوله الأتباع قامت على الطهارة والثقافة مما أغرى بالانضمام إليها. وكانت له نزعة تقشف وتخلي عن الملكيات الخاصة. وفي عام ١٥٣٤م اعترف بهم البابا ووضع لهم قائدهم نظاماً.

٥- جماعة الميثوديزم: (النظاميون)

هذه الجماعة نشأت في القرن الثامن عشر ولها ظاهرتان هما الإخلاص والتفاني في ذات المسيح والكتب المقدسة. مؤسس هذه الجماعة جون ويزلي (١٧٠٧م - ١٧٨٨م). كسبت هذه الجماعة شعبية وظل أتباعها دائماً من الطبقة الوسطى. وهي جماعة متحررة من التشديدات والرسوم الكنسية. وقد شارك أخوه تشارلز وتم اختيارهما زميلا تدريس بكلية لانكولت باكسفورد وكان أبوهما رئيس كنيسة وقد اشتركا في تدريس الكتاب المقدس في جمعية كان وأصبح جون رئيساً لهذه الكنيسة ونظم الزيارات للسجناء وسماهم الناس بالنظاميين.

نكتفي بهذه النماذج من الإرساليات التي قادت التبشير (التنصير) بأنحاء العالم وضمن ذلك العالم الإسلامي وتوجد إرساليات وجماعات أخرى عديدة لم يتطرق لها البحث. ويمكن للقارئ أن يطلع بتوسع بشأن هذه الجماعات والإرساليات التي وجهت التنصير في العالم الإسلامي وفي أنحاء العالم الأخرى كتاب (الإرساليات التبشيرية) للدكتور عبد الجليل شلبي وهو كتاب مفيد في هذا الموضوع[١].

(١) بتصرف من كتاب الإرساليات التبشيرية، عبد الجليل شلبي، بدون طبعة الإسكندرية: منشأة المعارف بدون تاريخ) ص٢٠٠.